Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـ«أوليس» بطل الحصافة والتعقل.. أى فى الفترة التى كان فيها هوميروس شابًّا. كانت عجرفة أجاممنون ، وغطرسة أخيل تمثلان ما يبهج شعب اليونان . وفى الفترة التى كان فيها هوميروس شيخاً كان اليونانيون قد صاروا يحبون ترف ألكنيوس Alcinous ، ولذائذ كاليبسو Calypso ، ومتع سيرس Circe الحسية ، وأغانى السيرنيات ، والوقت الضائع كما يمارسه عشاق بيثلوبى . كيف يمكن أى إنسان أن يعزو إلى نفس العصر سلوكات مختلفة عنه تمام الاختلاف ؟ لقد واجه أفلاطون هذه المشكلة ، ولأنه لم يعرف كيف يحلها – فقد ادعى فى منافيه المقدسة للحماس الشعرى – أن هوميروس كان قادرًا على أن يتوقع أو أن يتنبأ بفساد حياة المستقبل وخنوثتها . ولكن أليس فى ذلك ما يعزو أقصى درجات سوء التبصر والحماقة إليه ، إلى هذا الذى يعد مؤسس الحضارة اليونانية ؟ وأن نشر توقعات وتحسُّبات مثل تلك السلوكات قبل أن تتواجد – مع أن المرء كان سيشجبها ويدينها فى نفس الوقت – أليس فى ذلك النشر ما يحمل الناس على تعلمها لمحاكاتها ؟ دعونا نوافق – إلى حد ما – على أن مؤلف « الإلياذة » قد عاش بالتأكيد قبل مؤلف « الأوديسة » بزمن طويل ، أى أن الأول – الذى جاء من الجزء الشمالى من بلاد اليونان – قد غنّى الحرب الطروادية التى وقعت فى أرضه التى هى جزء من القطر كله ، فى حين أن الآخر – الذى وُلد فى الجزء الجنوبى – كان يحتفى بأوليس الذى كان يحكم هذا الجزء من العالم .

هنا تدرك أن فيكو قد فسر هوميروس فى ضوء كلٍّ من العصر التاريخى والأصل الجغرافى . والفكرة التى تقول بأن الفنون والمؤسسات الإنسانية ينبغى أن تدرس وتفسر كثمار أو نتائج للأحوال الجغرافية والمناخية التى كان يعيش فيها الناس الذين خلقوها ، ولنوعية تطورهم الاجتماعى الذى كانوا يمارسونه فى أثناء ذلك ، هذه الفكرة التى تقول ذلك أحرزت تقدماً عظيما خلال القرن الثامن عشر . ولكننا نجد لها إرهاصات سابقة حتى عند الدكتور جونسون أعظم النقاد كلاسيّةً ومحافظةً . فمثلا ، عندما أخذ يعدد بعض خصائص شكسبير ، ومدى ارتباطها ببربرية العصر الذى عاش فيه – مستخلصا من ذلك ما استخلصه شكسبير – قال : « الأمم – كالأفراد – لها طفولة » . وفى ثمانينات القرن الثامن عشر كان هردر Herder فى كتابه « أفكار حول فلسفة التاريخ » يكتب عن الشعر بأنه كان نوعاً من « بروتيوس Proteus بين الناس ، فهو يغير دائماً شكله تبعاً للغات ، والسلوكات ، والعادات ، ولدرجات الحرارة ، والمناخ ، لا ، بل حتى للهجات الأمم المختلفة » . بل ذكر هردر ما كان يمكن أن يبدو مزعجاً حتى فى هذا الوقت المتأخر ،